**سيميولوجيا فرديناند دي سوسير وأثرها في التأسيس للدرس السيميائي" 1".**

يلجُ الإرث اللساني السيميائيات السردية ويتوحّد معها في جملة من المبادئ ، أهمها "مبدأ المحايثة Immanance " الذي يعدّ من المفاهيم الأساسية المستثمرة في السيميائيات السردية ، حيث يكتسي بالنسبة لهذه الأخيرة أهمية كبيرة.

تنهض الدلالة من منظور" **غريماس**"على مبدأ المحايثة الذي يجعلها تنهض على جملة من الأسس الداخلية ، الخاصة والمستقلة عن المعطيات الخارجية .

ولقد كان لإسهامات الدرس اللساني الذي أرسى دعائمه"**فرديناند دي سوسير** " F.DE.SASSURE الدور الكبير والفعّال في تغيير مقولات الفكر الكلاسيكي بإرسائه لجملة من المبادئ نحو مبدأ الاستقلالية ، أيّ استقلالية الدرس اللّساني عن سائر الأنظمة المعرفية الأخرى.

يتجلي ذلك من خلال معالجة (**دي سوسير**) اللغة بوصفها نظاما قائمًا بذاتِه ممّا أدّى به ذلك إلى إرساء مبدأ المحايثة الذي تخضع فيه الدلالة لقوانين داخلية خاصة ومستقلة عن المعطيات الخارجية مجشبة بذلك حضور الذات الفاعل إذ لا نلمس لها أثرا أو حضورا إيجابيا ومن جهة ثانية تقصي السياق أو الظروف الخارجية التي تلف إنتاج اللغة بوصفها نسقا.

إنّ اللغة وفق هذا المنظور واقع مستقل وقائم بذاته، لا تحتاج في تحديدها إلى عناصر خارجية عن الوقائع اللسانية المكوّنة من مجموع الرموز والعلاقات المنتظمة والمحددة لوظائفها .

هذا المبدأ يعد أحد الركائز الأساسية الذي تبناه (**غريماس** ) في تحديده لمفهوم الدلالة انعكاسا لمبدأ "فرديناند دي سوسير Ferdinand De Saussure" في تأديته مدلول اللسان في مقابل سياق الكلام.

**معالم الدرس السيميولوجي لدى "دي سوسير"**

أحدث مؤلف (**دروس في اللّسانيات العامة** ) انعطافا منهجيا وقطيعة ابستيمولوجية مع الدرس اللّغوي القديم بعد ما انتقد أطروحاته وتصوراته السياقية كي يشكل على إثره علما للسان ويرسخ من خلاله تلك النسقية للوحدات اللّسانية كونّها تؤدي في المجموع إلى علامات دالة .

حيث إن اللسانيات لم تكن ( قادرة على أن تفرض نموذجها إلاّ بعد أن راجعت مفاهيمها وأسسها الابستيمولوجية، إذ تخلصت من العلوم التي كانت خاضعة لها (التاريخ، البيولوجيا، علم الأديان، الأنثولوجيا) ،وابتعدت عن الطابع المعياري لتؤسّس نفسها بصفتها علما وصفيا، مستقلا وعاما) ذا منهج علمي دقيق وأدوات إجرائية فعّالة.

ذلك أن الهدف الذي كان يسعى إليه (**دي سوسير**) هو التأكيد على مقولة النسق المغلق للسان ومن ثمّ، التأسيس لحقل معرفي جديد مستقل عن كل العلوم الأخرى متمثلا في اللسانيات، إذ إنّ (اللسانيات هي الوحيدة والحقيقية لموضوع اللّسان وهي مدروسة لذاتها ومن أجل ذاتها ".

بما أن اللّغة غير متجانسة بحكم أنها تنهض على مبدأ الشراكة بين جملة من الحقول المعرفية المتعددة ( فيزيائية ، فيزيولوجية ،نفسية )فإن اللّسان في نظر" **دي سوسير** "هو الموضوع المباشر والأنسب والمفضل لعلم اللسانيات بوصفه وحدة منسجمة تختصر كل تغيرات الكلام ولا تتأثر بما يتعلق بالأفراد من تنوعات في الأفكار والأهواء .

من هذا المنطلق ،أضحت اللّغة La language تتعارض مع اللسان La langue بوصفه مبدأ قابلا للتصنيف ،وهو ما قاد ب"**دي سوسير**"إلى بناء متصورات جديدة على شكل سلسلة من الثنائيات المتعارضة تأتي في مقدمتها ثنائية لسان/ كلام langue/ parole باعتبار هذا الثاني أداء فرديا خالصا وقولا خاصّا ينأى عن الثبات الذي يحوّله إلى نسقٍ مغلق .

ذلك أن اللّسان اجتماعي خالٍ من أيّ دورٍ فردي فهو يستوعب ما هو جوهري ويسعى من خلال معايير ثابتة إلى المحافظة على منطقه المحايث، وهكذا فاللسان **شكل** عكس الكلام الذي ينهض على دور فردّي فعال يستوعبُ كل ما هو عارض ويسعى إلى الدينامية وهو ما نفى عنه صفة العرفية نقيض اللسان الذي ينهض على العرف والمواضعة وعليه ، فالكلام **مادة** .

إنّ التقابل الذي وضعه (**دي سوسير** ) بين اللّغة / لّسان ، لسان / كلام language/ langue ، langue/ parole لا يعني أن نفهم من خلاله أنّ هذه الوحدات أجنبية عن بعضها البعض، بل إنّ كلّ من اللّسان والكلام يؤدون ظاهرة اللّغة فبالنسبة لـ "**سوسير**"( لا يلتبسُ اللسان باللّغة : اللّسان لا يمثل إلاّ قسما مكملا ومهما وهذا مؤكد) وكذلك بالنسبة للكلام حيث إنّ( اللّسان والكلام هما العنصران المكوّنان للّغة ،باعتبارها جمعا لكل التجليات ـ الفيزيائية والنفسية ـ التي تساهم في النشاط اللغوي ).

إنّ اللّسان بوصفه الحقل الجوهري لعلم اللسانيات والعنصر المكوّن للعملية اللّغوية والمهيكل لنشاطها والمنظم للكلام الفردي فإنه القسم الذي يشترك فيه جميع أفراد المجتمع لذلك نجده يترفع من التعدّد بهدف المحافظة على منطقه الداخلي ومبدئه المحايث لإقصاء البعد الثانوي أو المرجعي ومن ثمّ ، فإنه ينفلت من أيّة محاولة إبداع فردي ليصبح موضوع اللسانيات هو اللسان بوصفه( نسقا من القواعد المجردة الموجودة في الذهن بالقوة ) فهو فقط له بنية كونه الكل الذي يتكوّن من أجزاء مترابطة ترابطا غير مستقل.

يعرّف (**دي سوسير**) اللّسان بأنّه (نسق من العلامات ،دال على أفكار ،ولذلك فهو يشبه الكتابة ،أبجدية الصم والبكم ، أشكال اللياقة ، الإشارات الحربية إلخ ، اللسان ببساطة الأكثر أهمية في هذه العلامات) انطلاقا من هذا المعطى، ندرك أن اللسان نسق سيميائي دال أفكار، يشترك مع عملية أنساق أخرى في هذه السمة إلاّ أنّ اللسان أهمها كونه ينفرد بطابع استقلالي ويرتهن لنظام تعاقدي اعتباطي بين وحدات الدال والمدلول ( إنه نسق من العلامات حيث لا تتجلى الأهمية إلاّ في الوحدة بين المعنى والصورة الأكوستيكية وحيث الطابع النفسي لطرفي العلامة )وفق هذا المعطى،يعد اللسان بنية صورية تجتمع ضمنها طرفا العلامة signe : الدال والمدلول بوصفه نسقا ثابتا يؤديه فعل الكلام الفردي .